الدستور الخالـد(*)

مـنْ مُقـلتيَّ تَـدفـقتْ عَـبـراتي ... فنـظمتُ من حبَّـاتهـا أبيـاتي
أقسمتُ لا حباً شكوتُ ولا هوى ... يُـدمي الفؤاد فيـرسـلُ الآهـات
كـلاّ فلستُ من الذين شقـاؤُهم ... وهـنـاؤُهُـم بـمـشيئـةٍ لِـفَـتـاةِ
لكنني أبـكي وحُـقَّ ليَ الـبُكـا ... مَـجـداً أضعـنـاهُ بـغيـرِ أنـاةِ

* . * . * . * . *

مَنْ لي بقبـرِ ابن الـوليـدِ أبثُّـهُ ... حُـزني وأُسمعُـهُ أنينَ شَكـاتي[1]
وأقـومُ منْ فوق الـرفات منـادياً: ... في الله مـا أبليتَ من غَـزوات
ذهبَ الذي خلَّفت مِن مجدٍ ومن ... عـزٍ طـلبتَـهـا بـضـربِ قـنـاة
والـدينُ أوشكَ أنْ يـزولَ ضياؤُهُ ... وبنـوه راحـوا في عميقِ سُبـات

* . * . * . * . *

تـركوا كتـابـاً لـلإلـه ومـا حـوى ... مـنْ رِفعـةٍ وهـدايـةٍ وعِـظاتِ
ومَشَوْا وراءَ الغربِ حتى أغـرقوا ... في اللَّهـو والآثـامِ والشَّهـواتِ
كم من فقير باتَ يشكـو جوعـه ... ضـنَّ الغـنـيُ عـليـهُـم بـزكـاةِ
ومضى إلى الَّذاتِ يجرعُ كأسها ... ووراءَهُ مَنْ يجـرعُ الـحسـراتِ

* . * . * . * . *

(*) مجلة العالم الإسلامي «الثقافية» فبراير ـ شباط ـ ١٩٥١ [الشاعر].

(١) يقصد به خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويريد من ذكره استنهاض همم المسلمين للجهاد في سبيل الله عز وجل.

مَنْ ذا يعيدُ إلى الحنيفةِ مَجدها ... ليعـز شـأنـاً كـالـعـدو الآتي
أيـامَ كـانَ الحق حقـاً أبلجـاً ... والعـدلُ عدلاً أبيض الصفحـاتِ
ليس الغنيُّ على الفقيـر بسيِّـد ... مـا لم يَسُـدْهُ بحجـةٍ وصَـلاةِ
خيـرُ الرَّعيـةِ في صلاحِ رُعـاتِها ... كمْ مِن رعيـةٍ اقْتدتْ بـرُعـاة

* . * . * . * . *

صدق الرسولُ ومن سواهُ مصدَّقٌ ... إذ قـالَ حينَ دنا من السَّكـرات
إني تـركتُ لكمْ كتـاباً جـامعـاً ... هـوَ خيرُ دستـورٍ لخيـرِ قُضـاة[1]
قسمـاً بـربي لنْ تَضِلُّوا طـالمـا ... هـوَ بينَكم بمثـابـةِ المِشكـاة
ومضى الـرسولُ فليتنـا من بعده ... كنَّـا لنُصحِ حـديثه بـوُعـاة

* . * . * . * . * . *

يـا قومُ بعضـاً من صـواب إننـا ... نمشي بليـل حـالـكِ الجنبـاتِ
اللهُ أنـزلَـه كـتـابـاً خـالـداً ... فخـذوا بـه تنجـوا من العَثَـراتِ
ليستْ فرنسا حينَ تحذوا حذوها ... في حُكمِها الخالي من الحسنات[2]
بـأجَـلَّ من نـورِ الإلـه وهـديـه ... شتَّـانَ بينَ النـورِ والـظُّلمـات

* . * . * . * . *

إنَّ الأوائـلَ حينمـا حكمـوا بـه ... جَعَـلَ الأوائـل أفضـل السَّـادات
فتحوا الممالكَ والشعوبَ وأخضعوا ... حكـامَهـا من كـل بـاغٍ عـاتِ
حتى إذا راحـوا وأقبـل بعـدَهم ... خَلَفٌ أضـاعـوا مُحكمَ الآيـات
هـانوا ولـو حكموا بِـهِ مـا ذلَّهم ... أعـداؤهم وقتـاً مـن الأوقـاتِ

* . * . * . * . *

---

(١) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ: «. . فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله وسنتي». . . . من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع.

(٢) ذكر فرنسا لأن أكثر الدساتير الوضعية في الوطن العربي وغيره أخذت من الدستور الفرنسي.